

الملتقى الوطني : الصحافة الدينية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية

الاسم واللقب: سمية بهلول إشراف: أ د رشيد خضير

طالبة دكتوراه

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

جامعة الوادي

البريد المني: bahloul-soumia@univ-eloued.dz

رقم الهاتف: 0657518189

عنوان المداخلة: خصائص الكتابة الصحفية عند الشيخ حمزة بوكوشة و أبعادها الإصلاحية

-جمع وتحليل-

مقدمة

كانت التجربة الصحفية –على اختلاف توجهاتها- خلال فترة الاستعمار الفرنسي ولا تزال محل دراسة وتحليل للمؤرخين والباحثين من حيث مواضيعها وأساليبها وأبعادها الإصلاحية التي كانت تسعى لأجلها بهدف تنوير العقول وترسيخ القيم الوطنية والأيديولوجية التي انتهى إليها الشعب الجزائري قبل تفشي المخطط الاستعماري الذي سعى إلى فرضه على الأهالي. ونرى تكامل هذا المشروع الإصلاحي في أنحاء التراب الوطني وتكاثف جهود النخب الجزائرية شرقا غربا، شمالا وجنوبا، وهذا ما دفع ثلة من المتعلمين والغيورين على وطنهم لايجاد طرق وأساليب لمواجهة هذا الاحتلال الغاشم، فكانت الصحافة واحدة من أبرز الوسائل التي استخدموها لنشر الوعي وتثبيت العقيدة في نفوس الشعب إلى جانب التعليم والإرشاد. في هذه الورقة البحثية إضاءة على رائد من رواد الإصلاح في الجنوب الشرقي الجزائري ألا وهو الشيخ "حمزة بوكوشة"، وتسليط الضوء على بعض من كتاباته الصحفية وجهوده في خدمة الدين واللغة في وقت تفشى فيه الجهل والأمية والطرق المنحرفة ودعاة الاندماج وغيرها من الأفكار الرامية إلى الفرنسة وتجريد الشعب من هويته وانتمائه.

وتهدف هذه المداخلة إلى التعريف بشخصية حمزة بوكوشة، نشاطه الصحفي ، خصائص الكتابة الصحفية عند الشيخ بوكوشة، وأهم القضايا التي كان يهتم بها ويدافع عليها.

باعتتماد أسلوب الجمع والتحليل في معالجة المقالات الصحفية، وعن العينة فقد كان اختيار المقالات تماشيا وأهداف الدراسة.

1- التعريف بحمزة بوكوشة:

ينسب إلى عائلة بوكوشة، من عرش الأعشاش بوسط مدينة الوادي، الشيخ حمزة هو ابن البشير بن أحمد بن بوكوشة بن شنوف بن علي ابن مهير¹. والدته أحشية مريم. وله من الإخوة: الهاشي الذي يكبره سنا وقد تحصل الهاشي على شهادة التطوع من جامعة الزيتونة المعمور، والمكي الذي اشتغل بالتعليم ابتداء من سنة 1962م، ثم الأمين وإدريس ومصطفى وكذلك عبد الغني. أما الأخوات فهم: رقية وفاطمة²

يقول حمزة بوكوشة: لا أعرف اليوم الذي ولدت فيه، وإنما رويت عن والدتي رحمها الله أنها عندما ولدتني كان خالي عبد الكريم في بطن أمه، وقد أرّخ جدي ولادة خالي في سنة 1907، وعندما ولدت لي ولدي سهيل في 12 رمضان أخبرني أخي الشيخ الهاشي بأن ولادتي كذلك كانت في 12 من شهر رمضان، ويقرب أن استنتج أن ولادتي كانت في شهر أكتوبر سنة 1907.³

وقال أيضا: "عندما بلغت خمس سنوات ذهبت إلى بسكرة حيث كان والده يتاجر هناك. تعلمت القراءة والكتابة، وحفظت القرآن، وأخذت مبادئ الفقه والنحو على علماء بسكرة، وعلماء بوادي سوف"⁴. وفي أكتوبر 1923 التحق بأخيه الأكبر الهاشي الطالب في جامع الزيتونة بتونس ليواصل دراسته هناك، وبعد ست سنوات من التعلم الجاد تحصل على "شهادة التطوع" وهي أعلى شهادة كانت تعطى فيه فتخرج سنة 1930... عمل في حقل التعليم الحر الذي تدعو له جمعية العلماء، فاشتغل في بلدة "دلس" بالقبائل الكبرى أربع سنوات ابتداء من سنة 1932، ثم في مدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة سنة 1936. وكان يعطي دروسا لطلبة ابن باديس في مسجد "سيدي بومعزة" القريب من المدرسة المذكورة فكان من مساعدي ابن باديس في التعليم المسجدي، وربما علّم بالعاصمة بعض الوقت.⁵

وفي سنة 1956 باشر التدريس بفرع معهد ابن باديس بحي بلكور تحت إدارة الشيخ العربي التهامي أما بعد الاستقلال فعين سنة 1963 متصرفا مدنيا بوزارة الأوقاف ثم استأنف عمله في التعليم الثانوي إذ عين سنة 1964 أستاذا للغة العربية بثانوية عقبة الجزائر وبعد حياة مكللة بالعمل والجد، مدبجة بالفكر الناضج والدعوة الهادئة والعلم النافع، غادر الشيخ حمزة بوكوشة أحبابه وتلاميذه يوم الجمعة 16 نوفمبر 1994 الموافق ل14 جمادى الثاني 1415 هـ عن عمر يناهز 85 عاما. (ص 20). (أعلام سوف).

1 - عاشوري قمعون، العلامة الموسوي حمزة بوكوشة، مطبعة صخري، الوادي-الجزائر، ط1، 2012م، صص 12-13.

2 - عمار عوادي، كتابات ووثائق من تاريخ وادي سوف، دار هومة، الجزائر، ط1، 2011م، ص 162.

3 - حمزة بوكوشة، ما رأيت وما رويت، تقديم وجمع وترتيب سهيل شنوف، دار القبية، الجزائر، ط2، 2018م، ص 27.

4 - حمزة بوكوشة، م ن، ص 23.

5 - محمد الصالح رمضان، شخصيات ثقافية من وحي الرحلة، منشورات الحضارة... صص 144-145.

حمزة بوكوشة وجمعية العلماء المسلمين: حضر اجتماع تأسيس جمعية العلماء المسلمين نيابة عن والده.. ومن ذلك اليوم لم يتنكر لجمعية العلماء ولم يجد قيد أنملة عن مبادئها" واضطلع الشيخ بمهنة التربية والتعليم في كثير من مدارس جمعية العلماء، والتعليم في نظر رجال جمعية العلماء أهم وسيلة وأعظمها لبناء الأمة وصنع مستقبلها.⁶

اختير لعضوية المكتب الإداري لجمعية العلماء سنة 1938، وكلف بتسيير بعض مدارسها كمدرسة الإصلاح بدلس، ليتم تعيينه خلال 1936 من طرف الإمام ابن باديس كمعلم في مدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، وأستاذ مساعد له في أحد فروع الجامع الأخضر، كما أوفدته الجمعية سنة 1937 إلى مدينة ليون الفرنسية لمساعدة الفضيل الورتلاني في عمله التربوي والتهديبي في أوساط العمال المهاجرين بفرنسا، كما أسندت له سنة 1944 نيابة الكاتب العام لجمعية العلماء، وفي سنة 1948 عين في هيئة التحرير "البصائر" مراقبا عاما للجمعية. (ص166، ع9/ جمال زواري أحمد، مساهمات أعلام وادي سوف في تأسيس الصحافة الإصلاحية في الجزائر 1925-1940).

النشاط الصحفي للشيخ حمزة بوكوشة

وكان دور الصحافة الإصلاحية مكملا لعمل المدارس والمساجد لأنها تغطي قطاعا واسعا من فئات المجتمع ويمكنها الوصول إلى أقاصي البلاد شرقا وغربا لتوحيد الرؤى والاطلاع على مجريات الأحداث داخلها وخارجها، وقد فتحت هذه الصحافة صفحاتها لقراءها للإدلاء بأرائهم وتقديم مقترحاتهم في كل الأمور النافعة للبلاد والعباد فساهمت في تحريك الأقلام وسبر أغوار العقول.⁷

كغيره من نخبة المرحلة التي كانت تتطلع للنهوض الفكري، كان حمزة بوكوشة قلما صحفيا متميزا، إذ كان من ضمن الصحفيين الذين سخرروا أقلامهم خدمة للوطنية والهوية الجزائرية، فقد بدأ نشاطه الصحفي بكتاباته في الصحف التونسية حينما كان طالبا في جامعة الزيتونة موقعا بأسماء مستعارة، كتب في جريدة الوزير أول مقال له في نوفمبر 1927، وكان عبارة عن شعر بعنوان: إلى بني وطني الأعزاء، وقد كانت معظم كتاباته عبارة عن شعر وخواطر موقعة باسم "فتى الوادي".

كتب في جريدة الثبات والشهاب سنتي 1934-1935

أما جريدة البصائر فقد كتب أغلب مقالاته فيها، سواء السلسلة الأولى أو الثانية.. وهذه بعض عناوين كتاباته:

البصائر سنة 1936 م

⁶ - محمد الصالح الصديق، الشيخ حمزة بوكوشة، البصائر، ع177، 2-9 فيفري 2004، ص10.

⁷ - عبد القادر خليفي، الدور النضالي للحركة الإصلاحية "جمعية العلماء"، أشغال الملتقى الوطني للفكر الإصلاحي في الجزائر، مرجع سابق، ص107.

1. الأخلاق، س1، ع3، جانفي1936م.
2. عبرة في مماته وعظاته (قصيدة)، س1، ع6، فيفري1936.
3. قيمة المرأة في المجتمع، ع8، فيفري1936م.
4. تعدد الجمعيات في الجزائر، ع9، فيفري1936م.
5. جمعية إخوان الأدب، ع13، أفريل1936.
6. تشكيل الوفد الجزائري ورحلته إلى باريس، ع29، جويليت1936م.
7. الشدائد مقياس الشعور، س1، ع33، سبتمبر1936م.
8. تعدد الجمعيات في الجزائر، س1، ع9، فيفري1936م.
9. جمعية إخوان الأدب لماذا يلزم تأسيسها؟، س1، ع13، أفريل1936م.
10. ملاحظاتي على البصائر، س1، ع42، نوفمبر1936م.
11. ملاحظاتي على البصائر 2-3، س1، ع43، نوفمبر1936م.
12. من ثمرات المؤتمر: تشكيل الوفد الجزائري ورحلته الميمونة إلى باريس...، س1، ع29، جويلية1936م.
13. إليك يا دكتاتور بلدة سيدي عقبة، س1، ع34، سبتمبر1936م. (كتبت باسم سهيل الثاني).
14. دكتاتور بلدة سيدي عقبة يحيل خصومه على محكمة التفتيش ببسكرة، س1، ع41، أكتوبر1936م. (سهيل الثاني).

البصائر سنة 1937م.

1. إلى الشيخ أبو يعلى الزواوي، س2، ع60، مارس1937م.
2. الاعتداءات على الجمعية في أشخاص رجالها: الشيخ عمرو دردور في السجن، س2، ع84، أكتوبر1937م.
3. حجاب المرأة دين والمبالغة فيه عادة شريفة في الإسلام وقبله، س2، ع57، مارس1937م.
4. حجاب المرأة...، س2، ع58، مارس1937م.
5. حجاب المرأة...، س2، ع62، أفريل1937م.
6. وفد جمعية العلماء بوادي سوف وضواحيها، س2، ع93، ديسمبر1937م.
7. يوم بحث الشيخ "عمرو دردور"، س2، ع86، نوفمبر1937م.

البصائر سنة 1938م.

1. أحاديث جمعية العلماء وحوادثها، س3، ع94، جانفي1938م.

2. ===، س3، ع95، جانفي1938م.

3. ===، س3، ع96، جانفي1938م.

4. كتب في الأدب قصائد شعرية ومقالات عن أدباء وشعراء، دافع من خلالها عن الشعر والأدب، باعتبار الشعر نوعا من أنواع التعبير عما يختلج الفؤاد ويعالج القضايا على اختلافها بأساليب بلاغية جميلة.

وفي سنتها الجديدة أيضا (ابتداء من سنة 1947)، كتب بوكوشة عن القضاء الاسلامي، والأدب الجزائري، وشخصيات جزائرية مثقفة كأمثال: ابن باديس، الميلي، العمودي، المجاوي، و ابن خميس الجزائري، ابن عمر المليكشي، عائشة بنت عمارة البجائية، محمد الصالح خباش، محمد بن حماد، محمد بن يحيى بن عبد السلام الدلسي وغيرهم... كما كتب في عدة مجلات منها مجلتي الثقافة والمعرفة بعد الاستقلال.

ساهم رفقة الشيخ علي بن سعد في تأسيس وتحرير جريدة الليالي سنة 1936، وهي نشرة انتقادية، فكاھية وأدبية، إلا أنه لم يذكر فيها اسمه، وقد صدر منها عشرون عددا ثم توقفت، لأن الادارة الفرنسية كانت تضطهدها وتتصرف عنصريا ازاءها.⁸

أصدر أيضا جريدة المغرب العربي بوهران في ماي 1937، مديرها وصاحب امتيازها السيد محمود بلة، صدرت في أربعة أعداد ثم توقفت، جاء في صفحتها الأولى: جريدة سياسية أدبية اجتماعية، لسان حال الشبان المسلمين، وتصدر كل يوم جمعة من كل أسبوع.⁹

الشيء الذي يميز بوكوشة أنه كان أدبيا شاعرا يعالج قضايا وطنه بأسلوب أدبي بليغ، يعبر عن شغفه وحبه للغة العربية وبلاغتها ومعانيها وأساليبها الجمالية من دون أن يخلّ بالموضوع أو القضية التي يعالجها في مقالاته أو قصائده.

خصائص الكتابة الصحفية عند حمزة بوكوشة:

من خلال استطلاعنا على تراث الشيخ حمزة بوكوشة نجد العديد من القضايا في كتاباته الصحفية في مختلف الجرائد التي كتب فيها، فنجده يكتب في الأدب واللغة والدين والقضاء والوطنية، عن الشباب والمرأة وبعض الشخصيات التي كان لها حضور وتأثير في الجزائر وحتى خارجها. كما نجده أيضا مرافقا لنشاطات جمعية العلماء المسلمين وأحاديثها، وكل ما يتعلق بروادها وما يصدر عنها، يلاحظ بدقة المقالات المنشورة في صحفها

⁸ - سمية بهلول، علي بن سعد خيران وجهوده الإصلاحية من خلال أعماله الصحفية، مجلة الاعلام والمجتمع، مج7، ع2، ديسمبر2023م، ص173.
⁹ - ينظر، جريدة المغرب العربي.

ويعقب عنها في أعداد أخرى ناقدا، مبينا، وموضحا لفكرة ما، يتحدث عن الآلام والآمال المرجوة، ويحارب الجهل والخرافات والبدع، كما كتب في السياسة وعن الأحزاب السياسية وممارساتها.

أما عن كتاباته فلم تكن تخلو من نزعتة المسلمة الوطنية العربية، فنجد مما ميّز مقالاته:

- اللغة العربية السليمة والبلاغة الأدبية: وربما يعكس هذا ميله للأدب وتمكنه من الشعر وجماليات التعابير المجازية والمحسنات البديعية في مختلف مقالاته يصوّر من خلالها المعاني ويعبر عن أفكاره بكل دقة وبيان.
 - الأسلوب النقدي القوي: بحيث نجده ينتقد الأفكار والأشخاص غير مبال بما يكلفه ذلك، يصدح بالحق ويحارب الأفكار الدخيلة على ثقافتنا المسلمة مدعما أفكاره بالحجج والأدلة من مصادرها الأولى وهي القرآن الكريم والسنة المحمدية وكذا اجتهادات الفقهاء والعلماء، وهذا ان دلّ على شيء فهو يدلّ على سعة تعلمه واطلاعه في شتى المجالات فقد كان فقيها فذا ولغويا متمكنا، تعلم على يد خيرة الفقهاء في عصره حينما كان طالبا في جامع الزيتونة وكذا مجالسته لعلماء بلده سواء في بسكرة أو الوادي والعاصمة، من أمثال علي بن براهيم والعوامر وبلعبيدي، وفي الزيتونة كالشيخ محمد بن القاضي والشيخ عثمان بن المكي وحسن بن يوسف والنخلي وغيرهم، ومن بعدها علاقاته بأعضاء جمعية العلماء المسلمين وانخراطه ضمن نشاطاتها.
 - الشجاعة والجرأة في التعبير عن آراءه: نجد من خلال مقالات الشيخ قوة في طرح المواضيع والحديث عن شؤون المجتمع والقوانين التي كانت تسنها الإدارة الفرنسية، وأيضا محاربته للبدع والخرافات التي كان ينشرها أصحاب الطرق المنحرفين.
 - عدم الخوف من قول الحق ومخاطبة المبتدعين في الدين والمخالفين لدعوى الإصلاح والرد عليهم، نجده على سبيل المثال في جريدة البصائر يرد على مصطفى حلوش بثلاث مقالات حول حجاب المرأة تحت عنوان: "حجاب المرأة دين والمبالغة فيه عادة شريفة قبل الاسلام وبعده"¹⁰ وهذا بعدما نشر مصطفى حلوش بأن حجاب المرأة عادة وليس من الدين.
- أما عن القضايا التي كان يهتم بها: فيمكن القول بأنه عايش زمانه ومعاناة شعبه تألم لحال الأمة كغيره من دعاة الإصلاح وسخر قلمه وفكره للدفاع عن قضايا مجتمعه. كتب عن الدين واللغة والتعليم وعن المرأة والشباب والقضاء وخص كثيرا من المصلحين في مقالات منفردة مبرزاً أدوارهم ونشاطاتهم في إصلاح مجتمعهم، كما أن شغفه الأدبي الشعري كان بارزا من خلال أشعاره وخواطره التي كان ينشرها.

إن حمزة بوكوشة وعلى الرغم من قلة الدراسات حوله، إلا أنه كان عالما فذا مصلحا شجاعا، معلما ممتازا وصحفيا متميزا، وحقوقيا متمكنا، زكاه العديد من المصلحين من بينهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، محمد الصالح رمضان، محمد الصالح صديق، رضا حوحو....

قال عنه محمد الصالح رمضان: الاستاذ شنوف حمزة أو الشيخ حمزة بوكوشة كاتب اجتماعي وشاعر وجداني وناقد بصير وفقه اسلامي وحقوقى مدني... معظم القراء عرفوه ناثرا أكثر منه شاعرا، وبعضهم- خاصة رواد المساجد- عرفوه واعظا مرشدا، والحقوقيون وأصحاب المحاكم عرفوه في القضاء والمحاماة، ورجال الأعمال عرفوه تاجرا، والطلاب عرفوه استادا.¹¹

اتجاه الإصلاح:

- كان واعظا ومرشدا ومعلما حكيما، جمع بين اللين تارة والشدة تارة أخرى، ويتضح ذلك من خلال خطبة ألقاها في جمعية العلماء المسلمين، تحدث فيها عن الإصلاح -حسب الشيخ حمزة بوكوشة- من اعتنى بإصلاح نفسه قبل سواها وطهرها من أهواء الإلحاد وزكاها ومن تحلى بالفضائل، وتخلّى عن الرذائل، وأنذر عشيرته وجيرانه، والمصلح من ثبت للعقبات التي تعترضه صباح مساء، وضحى بماله ونفسه في سبيل ذلك...ويبين أيضا طريقتين للإصلاح، وهما اللين والشدة. يقول حمزة بوكوشة: "فاللين يحمد مع من يكون في هدايتهم رجاء، وهؤلاء في غالب الأمر يكونون من العامة، ولم ينكر الإصلاح لذاته، وإنما تنكره لجهالة وتقليد للقدماء من الآباء... أما الشدة فلا تحسن إلا مع من أضله الله على علم... قوم ينصرفون عن الحق وينكرون الإصلاح، ويذرونه لخبث في نفوسهم، كحب الرياسة وجلب الفلوس، يعرفون هدي محمد صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم..." وعن التعامل مع هذه الفئة يواصل قوله: "هؤلاء ينبغي للمصلح أن لا تأخذه بهم رافة أو هوادة، وليقف أمامهم بعزم شديد، وليضرب على أيديهم بمقامع من حديد، لقوله تعالى: "واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير" (التحريم/9).¹²
- على الرغم من الوظائف التي شغلها وما عُرف به من شاعرية وأدب واهتمام صحفي، فقد كان جل نشاطه في التعليم، متنقلا بين مدارس جمعية العلماء المسلمين والمساجد، وبعد الاستقلال واصل التعليم في مدارس العاصمة حتى وافته المنية.

11 - محمد الصالح رمضان، دراسات وأبحاث، حمزة بوكوشة العالم المصلح، ص100.
12 - سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، خطبة الشيخ حمزة بوكوشة ، ص184-185.

وفاته: انتقل إلى جوار ربه يوم الجمعة 14 جمادى الثانية عام 1415هـ/18 نوفمبر 1994م، وذلك عقب مرض لم يممه، وشيعت جنازته إلى إلى مئواه الأخير، حيث دفن في مقبرة القطار بباب الوادي بالعاصمة، وأبّنه وصلى عليه رفيق دربه وصديقه الشيخ علي المغربي¹³.